



جدلية الأخذ بتراث المهتدين إلى الإسلام في علم مقارنة الأديان
ابن ربن الطبري أمودجا

هبة قراش¹

مراد بلخير²

**The Dialectic Use of The New Converts Heritage in The Field of
Comparative Religions Ibn Rabban Al-Tabari As A Model**

**Hiba Gerrach
Mourad Belkhir**

Abstract: This research paper attempted to shed light on the dialectic of relying on the heritage of converts to Islam in the field of religious studies. As we find that this heritage is an approved form for most of the Muslims who have been accustomed to religious apology throughout history, which raises a methodological problem, regarding the validity of reliance on it and the extent of its acceptance by other religions. It is an issue that has not yet been addressed by specialized Muslim researchers with a critical study.

This essay focused on Ibn Rabban al-Tabari as a model for the study of this issue, as he is one of the most famous converts who contributed to the Islamic heritage of comparative religions, and the most prominent one who was relied upon by Muslim scholars in their writings in religious apology, especially in the issue of biblical testimonies of the prophethood of Muhammad (pbuh). The personality of Ibn Rabban al-Tabari, his intellectual output, and the details of his experience through religious conversion are surrounded by many points that require research and scrutiny. This research came as an attempt to address some of these issues, and to present the most important opinions of researchers about them.

Keywords: *religious conversion, apostasy, religious apology, guided to Islam, biblical testimonies.*

¹ Ph.D. scholar, University of Oran Algeria, hibaguerrache@gmail.com.

² Associate Professor, Department of Islamic Studies, University of Tlemcen, Algeria, mourad.belkhir@univ-tlemcen.dz



مقدمة:

تعد ظاهرة التحول الديني مسألة حساسة في مجال الدراسات الدينية، فهي تجربة تختم على الدارس الإحاطة بها من شتى جوانب الحياة الإنسانية؛ فتغيير شخص ما لمعتقد مترسخ فيه لصيق بكيئونه وهويته، لا شك في أنه مادة دسمة للباحث في مقارنة الأديان، ومصدر لمعلومات مهمة عن الديانة التي تم الخروج منها والتي تم الدخول إليها على حد سواء. وتزداد حساسية موضوع التحول الديني إذا كانت الشخصية التي حولت دينها ليست من عامة الناس، بل من علماء الملة الذين تركوا نتاجا علميا أسهم في تراث الجدل الديني لتلك المنظومة.

وبالحديث عن التراث الإسلامي في الجدل الديني، نجد أن نسبة كبيرة منه قامت محوريا على نتاج هؤلاء ممن اختبروا تجربة التحول الديني، والذين يصطلح عليهم إسلاميا بالمهتدين، وهنا تبرز على الواجهة إشكالية منهجية، حول جدلية الاعتماد على نتاج هؤلاء المهتدين في علم مقارنة الأديان، فهو نتاج ذو حدين، يراه المدافع عن صحة دينه وثيقة تشهد على شرعيته من وسط بيئة الملة المقابلة، في حين أنها تمثل للطرف الآخر مادة متحفظة عليها باعتبار أن صاحبها مرتد يختلف في شرعيته، وبالتالي يرى قيام تراث مقارنة الأديان عند ديانة ما على كتابات المهتدين إليها نقطة تستدعي الوقوف عندها. وقد عنيت هذه الورقة البحثية بابن ربن الطبري، أحد أبرز وأوائل هؤلاء المهتدين الذين أسهموا بشكل كبير في تراث المسلمين في مقارنة الأديان، والذي برزت بصمته والأفكار التي جاء بها على أغلب المسلمين الذين كتبوا في الجدل الديني الإسلامي المسيحي.

والإشكالية التي ننطلق منها في هذا الموضوع هي: انطلاقا من دراسة محطات حياة ابن ربن الطبري، كيف أثرت تجربته في التحول الديني على كتاباته في علم مقارنة الأديان؟ وماهي حدود الجدل القائم حول شرعية الأخذ بتراثه من عدمه بين الباحثين؟



واعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي من خلال تتبع المعلومات حول أهم معالم حياة ابن ربن الطبري ومؤلفاته، وآراء الدارسين حوله. إلى جانب بعض أدوات المنهج النقدي والمنهج التحليلي في الحديث عن أهم معالم شخصية ابن ربن وكتابات، وموقف الباحثين وآرائهم حولها. وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يهدف إلى الحديث عن الجانب الجدلي من حياة المهتمين إلى الإسلام وتراثهم في الدراسات الدينية، وهو جانب نادرا ما أحاطت به الدراسات الإسلامية، رغم حساسيته، بينما كثر التركيز عليه في الدراسات غير الإسلامية، حتى حيد بالأمر عن جانب الموضوعية. كما أنه يهتم بشخصية ابن ربن والتي تعد شخصية بارزة بين المتحولين دينيا، تم الاعتماد عليه حتى من باقي المهتمين إلى الإسلام أنفسهم، وكان لها أثر بارز في التاريخ و التراث الإسلامي على مختلف الأصعدة.

المبحث الأول: ترجمة ابن ربن الطبري وآراء العلماء حوله

المطلب الأول: ترجمة ابن ربن الطبري

1- اسمه ونسبه ونشأته: هو أبو الحسن عليّ بن سهل على أرجح الأقوال⁽³⁾، ويُعرف بابن ربن الطبري، مع ما يسجل من كثرة الاختلافات في اسمه الكامل والدقيق واسم أبيه، سواء في كتب المتقدمين أم في مؤلفات المستشرقين⁽⁴⁾.

ولد ابن ربن ونشأ بمرو في طبرستان⁽⁵⁾، وبعد فراغه من التعليم توجه من طبرستان إلى العراق، وأقام هناك مدة تعلم فيها الطب، وهناك اشتهر وذاع صيته، وفي تلك الفترة أيضا انكب على دراسة أهم كتب الشاميين واليونانيين

(3) عادل نويهض، مقدمة تحقيق كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري، 5.

(4) عادل نويهض، المرجع نفسه، 9.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4:13.



والهنديين، وأخذ يؤلف كتابه "فردوس الحكمة"⁽⁶⁾، ثم ترك ابن ربن التطب واشتغل كاتبًا لدى "المازيار بن قارن (أو قارون)" الذي ولاه الخليفة المأمون (ت218هـ) على طبرستان، وكان شديد القرب والرفعة لديه، وبقي على ذلك فترة من الزمان إلى أن وقع له حادثٌ قطعَ تأليف كتابه، وهو أن "المازيار" تمرد على الخليفة المعتصم بالله (ت227هـ)، ليعدم بعد ذلك⁽⁷⁾، ولم يبق ابن ربن كتابه إلى بعد 3 سنوات من خلافة المتوكل⁽⁸⁾.

2- ديانتته قبل الإسلام: هناك بعض الاختلاف في الديانة السابقة لابن ربن الطبري بين اليهودية والمسيحية التي يرى البعض أنها بسبب شهرة هذا المهدي، فقد اشتهر الاعتقاد في يهوديته خاصة لدى المستشرقين⁽⁹⁾، إلا أن أغلب الدراسات تجعل الاحتمال الأصوب هو المسيحية⁽¹⁰⁾، وهو ما يفترض أن نقطع به القول حسب ما يُستشف من كلام ابن ربن في عدة مواضع⁽¹¹⁾، خصوصاً وأنه ذكر سبب تلقيب أبيه "ربن"، لممارسته الطب على سبيل التآله والاحتساب لا طلباً للمنفعة⁽¹²⁾.

3- ثقافته: استفاد ابن ربن من عمه يحيى أبا ذكار، وقد ذكر ابن ربن عنه أنه كان مشهوراً ببراعته في الجدل حتى أنه أُلّف كتاب مشهوراً في جدال النصارى، وكتاباً في الرد على أهل الأديان⁽¹³⁾، كما أنه استفاد من أبيه أيضاً في علوم أخرى، هذا وقد امتدت اهتمامات ابن ربن الطبري إلى: الطب، الطبيعيات، الرياضيات والهندسة، الآداب

(6) خالد محمد عبده، مقدمة تحقيق كتاب الرد على أصناف النصارى لعلي بن ربن الطبري، 19.

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 56:6.

(8) علي بن ربن الطبري: فردوس الحكمة، 2.

(9) عادل نويهض، المرجع نفسه، 6، 7.

(10) عادل نويهض، المرجع نفسه، 9.

(11) علي بن ربن الطبري، الرد على أصناف النصارى، 20. عادل نويهض، مقدمة تحقيق كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري، 189 – 190.

(12) علي بن ربن الطبري، فردوس الحكمة، 1.

(13) عادل نويهض، المرجع نفسه، 11.



والفلسفة. والمشهور عن اهتمامات ابن ربن أنه كان من العلماء في الأديان، وباعتبار خلفيته الثقافية والدينية فقد كان يحسن أكثر من لغة خصوصاً: السريانية، والعبرانية، وقليل من اليونانية، كما تعلم اللغة العربية⁽¹⁴⁾ باعتبارها لغة السياسة والعلم آنذاك.

4- إسلامه: هناك روايات مختلفة حول إسلام ابن ربن الطبري من أهمها: أنه أسلم على يد المعتصم، وإلى هذا ذهب ابن النديم (ت384هـ)⁽¹⁵⁾ وغيره كثيرون منهم ابن أبي أصيبعة⁽¹⁶⁾، في حين يرى عادل نويهض في مقدمة تحقيقه لكتاب "الدين و الدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم" أن إسلامه كان على يد الخليفة المتوكل لا المعتصم⁽¹⁷⁾، وإلى هذا ذهب الكثير من المراجع⁽¹⁸⁾.

5- مؤلفاته: ترك عليّ ابن ربن الطبري العديد من المؤلفات منها ما وصل إلينا، ومنها ما وثقه المترجمون له ولم يصل إلينا، ومنها ما لم يُذكر، وهي ما يقارب 12 مصنفاً⁽¹⁹⁾، وهي في شتى المجالات كالطب والأدب وغيرها، وأهم مؤلفاته في العلوم الدينوية: فردوس الحكمة أو "الكناش"، كتاب "حفظ الصحة"، كتاب في الرقي، تحفة الملوك، إرفاق الحياة (وقيل عرفان الحياة)⁽²⁰⁾.

(14) عادل نويهض، المرجع نفسه، 11.

(15) ابن النديم، الفهرست، 466.

(16) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 379.

(17) عادل نويهض، المرجع نفسه، 15.

(18) خالد محمد عبده، مقدمة تحقيق كتاب الرد على أصناف النصارى لعلي بن ربن الطبري، 20.

(19) فتحة يوسف حسين الحاج أحمد، علي بن ربن الطبري وجهوده في الرد على النصرانية، 37.

(20) عادل نويهض، مقدمة تحقيق كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري، 18، 19؛ فتحة يوسف، علي بن ربن الطبري وجهوده

في الرد على النصرانية، 21.



أما أهم مؤلفاته في العلوم الدينية، فهي: كتاب "الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد

صلّى الله عليه وسلّم"، وكتاب "الرد على أصناف النصارى أو (الرد على النصارى)"، و"سنفصل الحديث حول هذين الكتابين فيما سيأتي من هذا البحث.

المطلب الثاني: آراء العلماء حول ابن ربن الطبري

تعتبر شخصية علي بن سهل بن ربن الطبري من الشخصيات المثيرة للجدل والنقاش بين الباحثين، وإن كانت الدراسات النقدية في هذا المقام قليلة، خصوصاً في فضاء خلفيته الدينية، ويمكن تقسيم مواقف العلماء من شخصية وتراث علي بن ربن الطبري إلى فريقين:

1- الفريق الأول:

- يرى أنه عالم جليل موسوعي، تميز في زمانه، وتفرد عن سواه من علماء المسلمين، برع في الطب، وتمكن في شتى العلوم الكونية، وكان له باع في كل الآداب والفنون.
 - أنه كان ذو حظوة لدى حكام وملوك عصره.
 - أنه زيادة على هذه الخصال أحد المهتمين إلى الإسلام، ومن أهم من دافعوا عنه، واستفاد منه من جاء بعده من علماء المسلمين، بعد أن كان من كبار علماء ملته السابقة، غائبا في كتابات المسلمين.
- وقد تبوّى هذا الموقف العلماء المسلمون، والكثير من الباحثين من متقدمين ومعاصرين، مع ملاحظة قلة الصفحات المخصصة له في معاجم التراجم والأعلام وبين صفحات كتب التاريخ. فمن المتقدمين مثلاً: ابن جرير الطبري في



تاريخه (ت310هـ) - وهو أقدم من ذكره-⁽²¹⁾، والمسعودي (ت346هـ)⁽²²⁾، وابن النديم (438هـ)⁽²³⁾، وياقوت الحموي(626هـ)⁽²⁴⁾، والقفطي (ت646هـ)⁽²⁵⁾ وغيرهم. ومن المعاصرين: عادل نويهض⁽²⁶⁾، خالد محمد عبده⁽²⁷⁾، محمد زبير الصديقي⁽²⁸⁾، محمد كرد علي في كتابه كنوز الأجداد⁽²⁹⁾، وغيرهم. والملاحظات التي يمكن تسجيلها على مواقف هؤلاء العلماء من ابن ربن:

- أن المؤلفين القدماء، يكادون يجتمعون على معلومات مشتركة حول ابن ربن، أولها أنه كان طبيبا من طبرستان، له معرفة بعلوم شتى، وأنه اشتغل كاتباً لدى الحكام، وكان مقرباً لهم، كما يصفونه بسعة البلاغة والبراعة في علوم شتى، ويذكرون أنه كان كثير التصانيف؛ بينما القليل منهم فقط من تطرق لديانته، وهي محل الاختلاف بينهم، بين من يقول أنه كان مسيحياً، ومن يقول أنه كان يهودياً.

- كما نلاحظ أنهم لم يذكروا مصنفاً في الأديان، ولم يذكروا مكانته بين قومه قبل إسلامه، وإن كان فعلاً أحد أحبارهم، كما يقول العديد من الدارسين.

- اعتمد المعاصرون اعتماداً كبيراً على ما كتبه القدامى حول ابن ربن الطبري، وعلى الرغم مما أضافوه، فإنهم كانوا في الغالب يتبعون نفس طريقة من سبقهم. وبالاطلاع على نماذج مختلفة مما كتبه الباحثون المعاصرون، نسجل أنهم

(21) ابن جرير الطبري، تاريخ الطبري " تاريخ الرسل و الملوك"، 9:96.

(22) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4:373.

(23) ابن النديم، الفهرست، 466.

(24) ياقوت الحموي، معجم الأدياء، 1:2468.

(25) القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، 145.

(26) في تحقيقه لكتاب علي بن ربن الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(27) في تحقيقه لكتاب علي بن ربن الطبري: الرد على أصناف النصارى.

(28) وهو بصدد تحقيقه لكتاب: فردوس الحكمة، لعلي بن ربن الطبري.

(29) محمد كرد علي، كنوز الأجداد، 71، 72.



أتوا بإضافات مهمة لم تُعرف من قبل حول ابن ربن الطبري، فحلوا شيئاً من مشكل شخ المعلومات، لكن بالمقابل نجدهم ساروا على نفس المنهج التمجيدي الذي كان عليه الكتاب القدماء، ولم يتطرقوا لكثير من المواطن التي تستدعي النقد. بل قد كتب بعض الدارسين عن الشخصية بطريقة مبالغ فيها رغم افتقارها لما يؤيدها من الأدلة العلمية، وهو الأمر الذي الذي سمح بإيراد أحكام تبجيلية خارقة، مثل الموقف الذي تبناه محمد كرد علي في مدح ابن ربن بقوله: « وكتابه هذا دليل ناصع على اضطلاع، وأنه انتحل الإسلام عن بصيرة بعد أن نضج في العلوم وأخفى المشاكل بحثاً⁽³⁰⁾، وإن كانت الأخبار التي وصلت عنه قليلة، لا تكفي لبلورة حكم صحيح عنه⁽³¹⁾.

- كما يلاحظ أن بعض المدح لهذه الشخصية جاء نتيجة قربها من الحكام ورضاهم عنها، وبالتالي لا بد من الإشادة بعبقرية الشخصية التي لولاها لما قربها الحكام.

2- الفريق الثاني:

وتمثله الدراسات الغربية، من مستشرقين وباحثين غير مسلمين جذبتهم شخصية ابن ربن الطبري، ورأوا فيها مادة مهمة تستدعي الاعتناء والبحث، ولاحظت أنّ هذه الدراسات: تكاد تجتمع على أصل واحد، رغم كثرتها، وإن كانت كل دراسة أتت بالجديد الذي يغيب في الأخرى، كما أن أغلبها يقترب إلى رأي يمكن أن نصفه بأنه يكاد يكون إجحافياً تحاملياً اتجاه علي ابن ربن، رغم أنها أصابت في بعض الأمور التي أغفلها الدارسون المسلمون.

(30) محمد كرد علي، كنوز الأجداد، 71، 72.

(31) محمد كرد علي، المرجع نفسه، 73.



ولعل أهم عامل يقف وراء هذا الموقف التحاملي حول ابن ربن، يتمثل في أنه يعد بالنسبة إليهم "مرتدا" عن ديانته، فمثلما يرفض المسلمون علميا ومنهجيا وأخلاقيا أن يُعَبَّرَ عن دينهم مرتدون؛ يرفض اليهود والمسيحيون ذلك أيضا، فالموضوعية والحياة غالبا ما تكون غائبة لصالح التحامل والهدم.

ومن نماذج تلك المواقف والآراء: موقف المستشرق (ألفونس مانغانا Alphonse MINGANA)، أول من اكتشف كتاب "الدين والدولة"، والذي ظل لسنين طويلة من مفقودات التراث⁽³²⁾، والمستشرقتان (كاميلا أدانغ Camilla ADANG)، و(زابينه شميتكه Sabine SCHMIDTKE)⁽³³⁾، (جوشوا أولسن Joshua T. Olsson)⁽³⁴⁾، وغيرهم، وقدموا في هذه الدراسات ابن ربن الطبري على أنه:

- عالم مسلم اعتنق الإسلام بعد مسيحيته، وهذا رأي أغلبهم، ومنهم من اعتبره يهوديا، كما سبق ذكره في ترجمته.

- عالم فيزيائي وطبيب فذ، برع في شتى العلوم.

- كما أكدت هذه الدراسات مسألة الاختلافات في ترجمته وخصوصا حول نسبه، وبالتالي ما نتج عن ذلك من اشتباه حول تحديد ديانته قبل إسلامه؛ فهناك من جرد ابن ربن من إسلامه، وعده من أطباء اليهود أو كاتباً في الأدب العربي⁽³⁵⁾، ويرجح عادل نويهض أن تهويد ابن ربن في الكتابات الغربية راجع إلى اعتمادهم على نص القفطي فقد بنوا دراساتهم عليه رغم علاقته⁽³⁶⁾.

وإلى جانب هذه النقاط التي تناولها الدارسون الغربيون لابن ربن، نجد نقاطا أكثر أهمية، منها:

⁽³²⁾ Ibn Rabba, *The Book of Religion and Empire*, 1922 p.x

⁽³³⁾ Camilla Adang, Sabine Schmidtke. *Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies*, 17.

⁽³⁴⁾ Joshua.T. Olsson, *Hudūd in al-Kindī and Ibn Rabban al-Ṭabarī*, 247-248

⁽³⁵⁾ عادل نويهض، مقدمة تحقيق كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري، 11.

⁽³⁶⁾ عادل نويهض، المرجع نفسه، 7.



- الاتصال الوثيق الذي كان بين ابن ربن الطبري والعديد من ملوك الدولة آنذاك، وهو ما يُتيقن منه بسهولة فور الاطلاع على كتاباته؛ فمثلا يصف (ألفونس منغانا Alphonse MINGANA) ابن ربن في مقدمته لكتاب "الدين والدولة": بالميل إلى التملق، حيث قال: « من جهة أخرى يمكن تفسير ميله إلى التملق، بغرور الخليفة المتوكل، الذي كان يُسرّ بوصفه " بطل الله الممتد بينه وبين خلقه، و"الحبل الممتد بين الله وعباده " «(37)، فنلاحظ من قوله هذا امتعاضا اتجاه ابن ربن والمتوكل، حيث يصف تصرف ابن ربن بالتملق، وبالتالي يفسر قربه للخليفة بحبه للسلطة، وتزلفه للحكام لنيل المناصب، ومن جهة أخرى يرى أن المتوكل كان ميالا للغرور، أي أنه قد يسعد بأي شخص يقدم محاولات لتزلفه، وبالتالي يمكن أن نفهم من كلامه أن المناصب التي تقلدها ابن ربن لم تكن بسبب كفاءته، أو على الأقل لم تكن هي السبب الوحيد الدافع.

- وقريبا من هذا الرأي، نلاحظ اهتمام الدراسات الغربية بمعرفة الدافع وراء إسلام ابن ربن الطبري، حيث يرى أغلبهم أنه لم يكن أمرا عفويا، أي عن غير قناعة، وذلك للأسباب التالية:

أ- أن ابن ربن لم يعتنق الإسلام حتى بلوغه سن السبعين من عمره، ومن الباحثين من أنكروا هذه المعلومة(38)، رغم أنه عاش في البيئة الإسلامية وكان مقربا من الملوك المسلمين.

ب- أن أغلب تلك الدراسات تذكر أن زمن الخليفة المتوكل كان عسيرا على غير المسلمين، بل حتى على الطوائف الإسلامية من غير السنّيين، وأن الخليفة اضطهد أهل الكتاب وكان شديدا عليهم(39).

ج- القرب الشديد الذي كان بين ابن ربن والحكام، والمناصب التي تقلدها في الدولة لسنين طوال رغم أنه كان مخالفا لهم في الديانة.

(37) Ibn Rabban ,*The Book of Religion and Empire*.p. ix

(38) Rifaat Ebied, David Thomas. *The Polemical Works of 'Alī al-Ṭabarī*. 8.

(39)Ibn Rabban. *The Book of Religion and Empire*.p. vi- ix / CamillaAdang, *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible: From Ibn Rabban to Ibn Hazm*. 25-26.



وعلى خلفية هذا الموقف، أخذ هؤلاء العلماء في البحث عن الأسباب الحقيقية التي

تبرر تحول ابن ربن عن المسيحية، وطرحوا فرضيات حول ذلك:

- فمثلا نجد في أحد المؤلفات ما نصه: « في فترة حكم الخليفة العباسي المتوكل اعتنق الإسلام، ونجد عادة أن هذه الخطوة تُعزى إلى أسباب خفية، يُقترح أن ابن ربن ببساطة أراد تجنب التقييد الذي فرضه المتوكل على غير المسلمين، كجزء من حملته لاسترجاع الإسلام السني الأرثوذكسي بعد سنوات من السيطرة الاعتزالية المبتدعة»⁽⁴⁰⁾. وهذا الرأي يرجح أن اعتناق ابن ربن للإسلام لم يكن عن اقتناع وحرية إرادة، بل خوفا من الاضطهاد، وحفاظا على حريته ومكانته.

- ويدعم هذا الموقف دارس آخر، حيث يذكر أنه بعد الثورة التي أحدثها "المازيار بن قارن" ضد الخلافة، أُحضر ابن ربن الطبري إلى عاصمة الدولة كعبدٍ لخدمة الخليفة المعتصم بالله، ثم يرجح أنه نال بعد ذلك حريته ومكانته في بلاط الدولة في عهد المتوكل، أين تمكن من إنهاء تأليف كتابه "فردوس الحكمة"⁽⁴¹⁾؛ وبالتالي يرى أنه ربما اعتنق الإسلام قصرا، أو رغبة في استعادة حريته.

- ومشى على هذا الرأي المستشرق "ثيودور نودلكه Theodor Noldeke"، حيث وصف سبب تحوله إلى الإسلام بالانتهازي، وكذلك "دانكن بلاك ماكدونالد MACDONALD Duncan Black"، الذي رأى أن اعتناق علي ابن ربن للإسلام كان شكليا ومهنيا؛ أي أنه كان لحفظ مصلحته، وأنه ربما لم يكن مسلما فعلا إلا ظاهريا⁽⁴²⁾.

⁽⁴⁰⁾ Camilla Adang, Sabine Schmidtke, *Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies*.17.

⁽⁴¹⁾ J.T. Olsson..*Hudūd in al-Kindī and Ibn Rabban al-Ṭabarī*.248.

⁽⁴²⁾Camilla Adang, *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible: From Ibn Rabban to Ibn Hazm*, p.cit .25



- أما "ماكس مايرهوف Max MEYERHOF" فقد كان موقفه أكثر ودية اتجاه ابن ربن مقارنة بالسابق، رغم أنه لم يقتنع بأن قرار ابن ربن الطبري كان عن قناعة وحرية، فيذكر أن ابن ربن - على غرار العديد من الذميين - أسلم تحت ضغط من الخليفة الذي كان سيء السمعة بسبب موقفه العنيد المتصلب اتجاه الديانات الأخرى⁽⁴³⁾.

- ومن الحجج التي أثرت تشكيكا في إسلام ابن ربن نجد:

أ- أنه أسلم في سن ضعف فيها عقله.

ب- أنه لم يفهم النصرانية الفهم الصحيح، لهذا تحول إلى الإسلام.

وقد ساقهما أحد أهم علماء المسيحيين الأقباط "الصفى بن العسال (ق12، أو13م)" في كتابه (الصحاح

في جواب النصائح)⁽⁴⁴⁾.

أما الحجة الأولى فبعيدة جدا حد الاستحالة؛ لأنه يتضح مما خلفه ابن ربن من نتاج فكري، ومما كان يشغله من مناصب رفيعة في الدولة أنه لم يكن شخصا فقد قواه العقلية البتة، أيضا نجد أن السفيه أو من أصابه الخرف يُستبعد أن يُقدم على أمر جليل وقرار مهم بحجم تغيير عقيدة بأكملها، بل ربما يكون عامل السن أمرا يضيف مزيد قناعة في صحة إسلامه، فهو السن الذي يفترض أن يبلغ الإنسان فيه تمام الرشد والحكمة، وهو السن الذي يكره فيه الإنسان أن يخالف ما أُلْفُهُ واعتاد عليه، فإن أقدم على تغيير مثل هذا، فمن المنطقي غالبا أن يكون عن قناعة وعن إحكام الرأي⁽⁴⁵⁾.

⁽⁴³⁾Camilla Adang, *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible: From Ibn Rabban to Ibn Hazm*. 25.

⁽⁴⁴⁾ مسعود مسعودي، عرض النصرانية بين الخارجين منها و المعتنقين لها " ابن ربن الطبري و الصفى بن العسال أنموذجا، 27.

⁽⁴⁵⁾ مسعود مسعودي، المرجع نفسه، 27، 28.



وخلص آراء الدارسين الغربيين حول ابن ربن الطبري هي أن المواقف والآراء حوله

كانت حادة من جوانب عدة، وخاصة فيما يتعلق بالأمور القلبية كمسألة الدوافع التي حملت ابن ربن على اعتناقه الإسلام، ومدى صحة إسلامه من عدمه.

ونلاحظ من جهة أخرى أن الذين أبدوا رأيا حول ابن ربن قد أصابوا في بعض الجوانب، إذ توجد بالفعل بعض النقاط والإشكالات التي تحيط بشخصية ابن ربن الطبري، والتي تستدعي البحث، على سبيل المثال: مسألة اعتناقه للإسلام في سن متأخرة من حياته، خاصة وأنه عاش ضمن البيئة الإسلامية، واحتك بعلماء المسلمين، وأنه كان مطلعاً على تعاليم الإسلام وعلومه قبل سنين من إسلامه، وهو ما يُفهم من ذكره لنقاشات كانت تتم بينه وبين عمه "يحيى أبا ذكار"⁽⁴⁶⁾، لكن مع هذا لا يمكن أن تُصدّر أحكام قطعية حول ذلك، خاصة أن ابن ربن لم يذكر بوضوح سبب إسلامه، إلا ما يُستشف من كلامه بين ثنايا كتبه، في معرض الحديث عن دوافع تأليفها.

وأهم الأسباب التي أدت إلى هذا النقاش حول سبب إسلامه يكمن في وجود تلك العلاقة القوية بينه وبين الحكام، وتقلده لمناصب عليا وحساسة في الدولة، وما تم ذكره من أنه ألف كتابيه الذين يدافع بهما عن صحة دينه الجديد، بنصيحة وحث من الخليفة المتوكل، وأنه أهداهما له، خصوصا وأنه يُسجل في بعض الفترات التاريخية تعصب الخلفاء ضد أهل الذمة، من ذلك ما ذكره المؤرخ الهندي "خودانجش" الذي استنكر بشدة بعض أفعال الخليفة، كفضه لباسا خاصا يميز الذميين عن المسلمين، حيث قال أنه لا يمكن أن يُتخذ أنموذجا لما ينبغي أن يكون عليه القائد المسلم.⁽⁴⁷⁾

⁽⁴⁶⁾ Ahmad Sanusi Azmi, Zuhilmi Mohamed Nor, Amiruddin Mohd Sobali, Mohd Yusuf Ismail & Amran Abdul Halim. *From Christianity To Islam: An Analysis Of Ibn Rabban's Approach Towards Sira Nabawiyya* .2.

⁽⁴⁷⁾ علي حسن الخربوطلي، الإسلام و أهل الذمة، 144.



المبحث الثاني: دراسة نقدية لتراث ابن ربن الطبري في مقارنة الأديان

تقدم في ترجمة ابن ربن الطبري أنه ترك كتابين في العلوم الدينية، هما: كتاب "الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم"، وكتاب "الرد على أصناف النصارى"، ومن هذين الكتابين نتناول منهجه في دراسة الأديان، ونستخلص مواقف العلماء حول قيمة الأخذ بتراثه الديني باعتباره حالة الانتقال الديني لديه.

المطلب الأول: دراسة كتاب "الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم".

1- وصف الكتاب:

هذا الكتاب لم يُذكر في أي مصدر من مصادر ترجمته القديمة، وبقي طويلاً من مفقودات التراث إلى أن اكتشفه المستشرق "الفونس منغانا Alphonse MINGANA" في القاهرة وترجمه إلى الإنجليزية، وقد شكك في صحة نسبته إلى ابن ربن، لكن بعض المستشرقين فنّد هذا الطعن ودحضه، وقد نشر بعد ذلك بتحقيق عادل نويهض، في دار الآفاق ببيروت. لكن منغانا اعتمد على مخطوطة ناقصة وبعض كلماتها مطموسة، وعلى نسخة (منغانا MINGANA) اعتمد "عادل نويهض" في تحقيقه للكتاب، فاختلط الصواب بالخطأ في شأن الكتاب، إلى أن جاء "خالد محمد عبده" وعثر على نسخة أخرى فريدة، عديمة النظير من كتاب الدين والدولة، وهي كاملة أيضاً وتحتوي على تعليقات وحواشي تليها زيادات غير منشورة⁽⁴⁸⁾.

(48) عادل نويهض، مقدمة تحقيق كتاب الدين والدولة لعلي بن ربن الطبري، 22.



وهذا الكتاب يعتبر من أشهر الكتب في الرد على النصارى، ألفه ابن ربن وهو في نحو

التاسعة والثمانين من عمره، بمساعدة من الخليفة العباسي المتوكل على الله⁽⁴⁹⁾.

2- المنهج العقدي في كتاب الدين والدولة:

بدأ ابن ربن كتابه بمقدمة، ذكر فيها كلاما عاما عن الإسلام، وقيامه على عقيدة التوحيد، ثم تكلم عن مسألة البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في النصوص المقدسة، ثم مدح الخليفة المتوكل على مساهمته في تأليف الكتاب، يلي ذلك ذكر منهجه في تأليف الكتاب بشكل عام، ثم عدّ أهم الأسباب التي خالف فيها الناس الإسلام.

أما الخاتمة فقد ذكر فيها بشكل عام الفرق بين الإسلام والملل الأخرى، وأنه هو الدين الحق، وهو أهم ما تضمنه كتابه، ليختتم في النهاية بمدح للإمام المتوكل، وقد حظي هذا الكتاب بقدر كبير من اهتمام العلماء وتقديرهم، فنجد خالد محمد عبده يصفه بأنه « سفر عظيم القيمة »⁽⁵⁰⁾، ويقول محمد كرد علي عنه: « ومن أجمل ما فيه نقول عن الكتاب المقدس والنبوات عليها مسحة من البلاغة أكثر من الترجمات المشهورة لعهدنا، ولعلها منقولة من الترجمات الضائعة من التوراة والإنجيل، أو أنها كانت من ترجمته هو وكان يعرف لغات أخرى مع العربية »⁽⁵¹⁾، ويقترح كذلك أن ابن ربن قد يكون ترجم النصوص بنفسه، وهو ما أراه -شخصيا- صحيحا.

كما أشار الباحثون المسلمون في مقارنة الأديان إلى أن كتاب "الدين والدولة"، كان -كمثلما نجد في نظيره "كتاب الرد على أصناف النصارى"- من أبرز ما اعتمد عليه المسلمون في كتاباتهم في مجال الأديان، حيث أخذوا منها بوفرة، كذلك دون الإشارة إليه في المصادر غالبا، ومن هؤلاء :

(49) عادل نويهض، المرجع نفسه، 10.

(50) خالد محمد عبده، مقدمة تحقيق كتاب الرد على أصناف النصارى لعلي بن ربن الطبري، 34.

(51) محمد كرد عل، كنوز الأجداد، 72.



- نصر المتطرب في كتابه: "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية"، حيث نقل هذا الأخير فصلا كاملا في البشارات الحمديّة من كتاب الدين والدولة وضمّنها كتابه⁽⁵²⁾.
 - القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه: "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، و"تنبيت دلائل النبوة"⁽⁵³⁾.
 - أبو الحسين البصري، أحد أعلام أئمة المعتزلة، أخذ من كتاب "الدين والدولة" ووظفه في كتابه "غرر الأدلة"، حيث تكلم فيه عن البشارات التوراتية، وعن هذا الأخير أخذ سديد الدين الحمصي الرازي، في كتابه "المنقذ من التقليد"، وقد ذكر الحمصي ابن ربن باسمه في كتابه⁽⁵⁴⁾.
 - سعد الدين التفتزاني صاحب كتاب "شرح المقاصد" الذي أخذ هو الآخر عن ابن ربن الطبري، في فصل عقده حول النبوة، حيث تكلم عن البشارات الحمديّة في الكتب المقدسة⁽⁵⁵⁾.
- ويُتوقع أن يكون قد نُقل عن ابن ربن الطبري في موضوع الإسرائيليات التي أوردها العديد من علماء المسلمين، ومنهم ابن جرير الطبري صاحب التفسير المشهور "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"⁽⁵⁶⁾، خصوصا أنه أخذ عنه كتاب "فردوس الحكمة" مباشرة حسب أحد الدارسين⁽⁵⁷⁾، وكذلك استفاد الصفي ابن العسال هو الآخر من كتابات ابن ربن الطبري، كما سيأتي في العناصر اللاحقة.

(52) عبد الله الشرقاوي، مقدمة تحقيق كتاب النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية لنصر المتطرب، 32.

(53) عبد الله الشرقاوي، المرجع نفسه، 30.

(54) Camilla Adang. *A rare case of biblical 'testimonies' to the Prophet Muhammad in Mu'tazilī literature. Quotations from Ibn Rabban al-Ṭabarī's Kitāb al-Dīn wa-l-Dawla in Abu l-Husayn al-Baṣrī's Ghurar al-adilla, as preserved in a work by al-Ḥimmaṣī al-Rāzī.*, 298

(55) سعد الدين التفتزاني: شرح المقاصد، ج3، ص 301-303.

(56) شافية صديق، "من أجل تشريح حقيقي لتراث الجدل الديني عند المسلمين"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، 4؛ (2012)4: 37.

(57) مسعود مسعودي، عرض النصرانية بين الخارجين منها والمعتنقين لها "ابن ربن الطبري، والصفي ابن العسال أمودجا"، 3.



وفي هذا تذكر المستشرقة اليهودية "كاميلا أدانغ" Camilla ADA " أن أكبر مجموعة

من النصوص المقدسة التي فيها بشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كان ابن ربن هو أول من جاء بها في كتابه "الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم"⁽⁵⁸⁾، إلا أنها ترى -على عكس ما اشتهر لدى الباحثين المسلمين- أن ابن ربن لم يكن أول من جاء بفكرة البشارات المحمدية بل يحتمل أنه أخذها عن غيره، مثل: "ابن الليث"⁽⁵⁹⁾ إذ يحتمل أن يكون ابن ربن قد اعتمد عليه في مجال دراسة الأديان، فقد كان "ابن الليث" قد كتب رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي "قسطنطين السادس" بطلب من الخليفة هارون الرشيد، يدعوه فيها إلى الإسلام. وينبغي أن نشير إلى أن ابن الليث أورد فيها نصوصا من الكتاب المقدس تبشر بقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فيحتمل أن يكون ابن ربن أخذ عنه⁽⁶⁰⁾، وهو نفس ما نجده في رسالة أخرى تسبق هذه الأخيرة، تُعزى إلى الخليفة "عمر بن عبد العزيز"، وُجّهت إلى الإمبراطور البيزنطي "ليو الثالث"، وهي الأخرى تتطرق إلى مسألة البشارات المحمدية⁽⁶¹⁾.

ثم تذكر المستشرقة نقطة مهمة حول تلقي الدارسين الغرب لكتاب "الدين والدولة" وهي مناقضة تماما لما لقيه من إعجاب وسط المسلمين، إذ تقول أنه بقي لمدة طويلة، يُنظر إليه على أنه أحد الأعمال (المزورة) في القرن العشرين⁽⁶²⁾. ومما اعتمد عليه ابن ربن في هذا الموضوع فكرة كون لفظة (الفارقليط) المقصود بها هو النبي محمد

⁽⁵⁸⁾Camilla Adang. Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible: From Ibn Rabban to Ibn Hazm., 144

⁽⁵⁹⁾ محمد بن الليث بن أذرباد، أبو الربيع، ينسب إلى دارا بن دارا الملك، وكان بليغا كاتباً، فقيهاً، له من الكتب: كتاب رسائله، وكتاب الهيلجة في الاعتبار، وكتاب الردّ على الزنادقة، وكتاب الخطّ والقلم، وكتاب في فنون الأدب، انظر: علي بن النجب بن الساعي، الدر الثمين في أسماء المصنفين، 1:132.

⁽⁶⁰⁾Camilla Adang, Sabine Schmidtke. Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies, 51

⁽⁶¹⁾Camilla Adang, Sabine Schmidtke, Idem.

⁽⁶²⁾Idem.



صلى الله عليه وسلم، ويذكر أن مجموع حروف كلمة الفارقليط بحساب الجُمَّل يتفق مع مجموع حروف العبارة التالية (محمد بن عبد الله النبي الهادي) (63).

المطلب الثاني: دراسة كتاب "الرد على أصناف النصارى أو (الرد على النصارى)"

1- وصف الكتاب:

يعرف هذا الكتاب باسمين هما: "الرد على أصناف النصارى" و"الرد على النصارى"، ولم يذكر كذلك في التراجم بأنه من كتب ابن ربن، وظلّ مدّة طويلة في حكم المفقود، حتى عثر عليه خالد محمّد عبده وحققه ونشره سنة 2005 لدار مكتبة النافذة، واختلف كذلك في نسبتها إليه إلا أن العديد من العلماء جزم بصحة ذلك، حسب نص لابن ربن في كتابه يصرح فيه بأنّه ألف كتابا في الرد على النصارى (64).

إن الباحث في مؤلفات ابن ربن يلحظ أمرًا مهمًا، وهو أنّ كتبه المتعلقة بعلوم الأديان مفقودة ومجهولة بل ويُشكك في نسبتها إليه؛ وبالمقابل نجد كتبه في العلوم الأخرى معروفة ومشهورة ومتداولة، وهو أمر غريب نوعًا ما، فإذا كان ابن ربن عالمًا مشهورًا في الطب وغيره من العلوم؛ فمن المستبعد أن تُعرف وتشتهر كتبه في العلوم من جهة فقط، وتُغفل كتبه المتعلقة بالأديان من جهة أخرى، وهذا الإشكال يستدعي النظر فيه من زوايا أخرى سنعود إلى الحديث عنها لاحقًا. وهذا الكتاب ذكره المؤلف في كتابه الآخر "الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم"، مما يدل على أنه متأخر عنه في التأليف.

(63) علي بن ربن الطبري، الدين و الدولة، 185.

(64) علي ابن ربن الطبري، المرجع نفسه، 154؛ عادل نويهض، المرجع نفسه، 23.



2- المنهج العقدي في كتاب الرد على النصارى.

إن الدارسين لهذا الكتاب يجمعون على ميزات تتوفر فيه⁽⁶⁵⁾:

- أهميته في الدراسة المقارنة للأديان، إذ أن صاحبه من كبار علماء النصرانية، فقد ظل معتقاً لها طيلة سبعين عاماً من حياته .

- صاحبه كان عالماً بالطب، وكان خبيراً بالسياسة ومعرفة الشعوب، وهذا ما انعكس على منهج معالجة القضايا الدينية فيه.

- معالجته لقضايا مهمة في الأديان في وقت مبكر جداً من التاريخ الإسلامي، ومن أمثلة هذه المواضيع⁽⁶⁶⁾:

- المباحث المتعلقة بطبيعة المسيح، وما تشمله من حديث حول لاهوته وناسوته، والأبوة والبنوة، وكذا الحلول والاتحاد.

- نقد الإنجيل من حيث استخراج التناقض والاختلاف فيه، ومسألة اضطراب سنده.

- مذاهب النصارى واعتقادهم اتجاه المسيح.

- معجزات المسيح، وتأليهه بناء عليها.

- شريعة الإيمان عند المسيحيين.

كما أن العلماء المسلمين اهتموا على كتابات ابن ربن بكثرة، فقد كان هذا الكتاب أصلاً وعماداً لمعظم

المهتدين إلى الإسلام⁽⁶⁷⁾، إذ يُذكر أن العديد من علماء المسلمين، اعتمدوا على هذا السفر في مقام الرد على

النصارى ومناقشة عقائدهم، حتى أنهم أخذوا عنه فصولاً كاملة، دون الإحالة عليها غالباً، وذكرها من بين مصادر

(65) خالد محمد عبده، مقدمة تحقيق كتاب الرد على أصناف النصارى لعلي بن ربن الطبري، 33.

(66) خالد محمد عبده، المرجع نفسه، 33-35.

(67) خالد محمد عبده، المرجع نفسه، 34.



تأليفهم⁽⁶⁸⁾، كالمهتدي "نصر بن يحيى المتطبب" في كتابه "النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية"، سواء من حيث التشابه في الألفاظ أو في عرض القضايا وفي الفقرات المقتبسة، بل حتى الاعتماد على نفس الروايات الإنجيلية التي استشهد بها ابن ربن في كتابه⁽⁶⁹⁾.

وفي ما يخص سبب عدم التصريح بأخذهم عنه، فرمما كانت تلك عادة التأليف آنذاك، أو أنهم امتنعوا عن ذلك عمدا لتكون أكثر انتشارا وتقبلا عوض أن ترفض من قبل غير المسلمين إذا علموا أنها صدرت ممن يعدونه مرتدا. ومن أهم الأسباب التي جعلت مؤلفات ابن ربن تحتل قيمة كبيرة عند العلماء، وصفهم لها باكتسابها وثائقية علمية. وذلك لاشتمالها على نصوص من الكتاب المقدس، منقولة عن نسخها الأصلية المكتوبة بالسريانية العبرانية واليونانية، أي اللغات الأصلية للنصوص الإنجيلية الأصلية، والتي فقد أغلبها⁽⁷⁰⁾.

وحول مسألة إتقانه للغات فترى واحدة من الدارسين الغربيين -ومثلها ممن يشاطرها الرأي- بأن ابن ربن لم يكن متقنا لكل لتلك اللغات، بل تذكر أن مقدار معرفته لبعضها لم يكن أكثر من سطحي⁽⁷¹⁾.

المطلب الثالث: الجدل غير الإسلامي في الرد على ما كتبه ابن ربن الطبري في الأديان.

1- الجدل النصراني في الرد على ابن ربن:

تولى العديد من علماء النصارى الرد على القضايا التي طرحها ابن ربن في الأديان خصوصا تلك المسائل الشائكة، ومنها مسألة البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء:

(68) خالد محمد عبده، مقدمة تحقيق كتاب الرد على أصناف النصارى لعلي بن ربن الطبري، 33.

(69) خالد محمد عبده، المرجع نفسه، 34.

(70) خالد محمد عبده، المرجع نفسه، 35.

(71) Camilla Adang, Sabine Schmidtke, *Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies*, 17



القس القبطي الصفي ابن العسال رد على بعض ما أورده ابن ربن الطبري، وكان رده على وجهين، بطريقة مباشرة وذلك في كتابه "الصحاح في جواب النصائح" والذي يبدو أنه ألفه أصلاً للرد على كتاب "الرد على أصناف النصارى"، وأخرى غير مباشرة وذلك في كتابه "نهج السبيل في تحجيل محرفي الإنجيل" (72)، ومما كتبه ابن العسال حول ابن ربن:

- أن كلام ابن ربن الطبري، يدل أنه كان غير عارف بما في دينه السابق، وأنه حتى لم يصل درجة التقليد.
- أن ما أورده ابن ربن بعضه بغير عبارة النصارى، وأكثره على خلاف ما يعتقدونه، ويذكر مثلاً: أن ابن ربن الطبري ذكر النص المشهور من الكتاب المقدس (لو 12: 4-5) على غير نصه (73).
- يقول أن ابن ربن حمل بعض النصوص على ظاهرها، أي نفهم من كلام ابن العسال أنه يقصد ربما أن ابن ربن استعمل القراءة الحرفية لبعض النصوص (74).
- يرى أن ابن ربن فسر بعض النصوص على غير تأويلاتها عندهم، حيث يقول ابن العسال: «وأما تأويل الخصم فنحن لم نؤمن بهذه النصوص على هذه التأويلات» (75)، ويضيف أنه لو كان اطلع على التفاسير المختارة عندهم، لما قال حججه تلك.
- يشكك ابن العسال في أن ابن ربن كان نصرانياً فعلاً، حيث يذكر أن ابن ربن وقع في أخطاء تعتبر من الأمور المشهورة عند جمهور المسيحيين (76).

(72) مسعود مسعودي، عرض النصرانية بين الخارجين منها والمعتنقين لها "ابن ربن الطبري، والصفي ابن العسال أنموذجاً"، 3، 4.

(73) ابن العسال، الصحاح في جواب النصائح، 36.

(74) ابن العسال، الصحاح في جواب النصائح، 37.

(75) ابن العسال، المرجع نفسه، 116.

(76) ابن العسال، المرجع نفسه، 108.



- يفند ابن العسال ادعاء ابن ربن انتقاله من المسيحية إلى الإسلام ببرهان النظر العلمي، ويقول عنه أنه غير دينه "بحجة الباطل" (77).

يظهر أن نقد ابن عسال لمنهج ابن ربن كان واقعا على جدلية التعامل مع النصوص النصرانية من حيث: الصحة والموثوقية والتفسير، وهذه العناصر من مقومات منهج النقد الداخلي في مقارنة الأديان، والتحاكم إليها لا يحقق غالبا نتائج حاسمة في الجدل، خصوصا في النصوص الإنجيلية التي لها روايات متعددة، وقد كان ابن ربن سباقا إلى الأخذ بالروايات القديمة جدا، ومعرفته بالديانة النصرانية لا يمكن إنكارها، فضعف بذلك نقد ابن العسال ولا يمكن أن نؤسس به ردا حاسما على منهج ابن ربن في نقد النصرانية.

2- جدل المستشرقين في الرد على ابن ربن:

أبرز النماذج الاستشراقية التي درست تراث ابن ربن هما: المستشرقتان "أدانغ" و"شميتكه"، في كتابيهما حول كتابات ابن ربن الطبري في النقد الديني:

Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies

وتذكران الملاحظات التالية:

1. أن ابن ربن ذكر أن الأنبياء بشرؤا بقدم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ووصفوا رسالته، بلده، قومه، زمنه، انتصاراته، صحابته. وتضيف الدارستان، أن هذا الكلام سبق استعماله من طرف علماء الأديان في اليهودية و المسيحية قبله، في الحديث عن موسى وعيسى عليه السلام؛ وبالتالي تقول المستشرقتان أن ابن ربن استعمل نفس الطريق لكي لا يتم رفض كلامه من طرف اليهود والمسيحيين، باعتبار أنهم نهجوا نفس السبيل (78).

(77) ابن العسال، المرجع نفسه، 124.

(78) Camilla Adang, Sabine Schmidtke, *Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies*, 18.



2. تذكر المستشرقان أن ابن ربن رأى أن الحل للبرهنة على صحة رأيه، إثبات أن ما ذكره اليهود والمسيحيون من بشارات حول موسى وعيسى عليهما السلام ينطبق في الواقع على النبي محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁷⁹⁾.
3. أنه اعتمد على عنصر مشى عليه متخذاً له كترسانة كبيرة - حسب عبارتهما -، وهو أن يقوم بترجمة كل كلمة لها علاقة بمعنى "الحمد"، والتي أصلها الجذر السرياني: شبح، وأن يقول أنها تعني اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁸⁰⁾.
4. ثم علقت الباحثتان على ذلك بقولهما، أن هذه (الحيلة) - حسب وصفهما - يمكن تطبيقها مع المسيحيين فقط، لأنهم يعتمدون على النص السرياني⁽⁸¹⁾، وهنا تضيفان ملاحظة تريان فيها أن ابن ربن:
5. لم يحاول تتبع اسم النبي محمد في النص العبري للكتاب المقدس، كما فعل في النص السرياني⁽⁸²⁾.
6. أن ابن ربن اعتمد على طريقة مقابلة حروف الكلمة بما يقابلها من الأرقام، وتقول الدارستان أن تأويلاته المعتمدة على ذلك كانت هزيلة⁽⁸³⁾.
7. تذكر الكاتبتان أنه لا يمكن الجزم حول ما إذا كان لابن ربن علاقات مع اليهود، لكن وقوع ذلك محتمل، وبالتالي يمكن أنه أخذ عنهم في ما ذكره عن ديانتهم، كما تقولان أنه يمكن أنه اطلع على ذلك بنفسه بما كان له من معرفة بسيطة باللغة العبرية⁽⁸⁴⁾.

⁽⁷⁹⁾ Idem.

⁽⁸⁰⁾ Ibid ,18.19.

⁽⁸¹⁾ Camilla Adang, Sabine Schmidtke. *Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies*,19

⁽⁸²⁾ Idem.

⁽⁸³⁾ Idem.

⁽⁸⁴⁾ Ibid ,20.21



8. كما تنقلان رأيا للباحث (دافيد سامويل مارغوليوث David Samuel

(MARGOLIOUTH)، حيث يقول فيه أن ابن ربن يذكر أحيانا أن التحريف في الكتاب المقدس وقع في تفسير النص، لا في اللفظ في حد ذاته، وبالمقابل في مقدمة الكتاب يقول بأن أنهم حرفوا رسم اسم النبي في النص⁽⁸⁵⁾.

وبالتالي هذا الاضطراب في رأيه، وعدم الفصل فيه كان سببا في عدم شهرة كتاب الدين والدولة، بينما ترى (أدانغ ADANG) أن سبب عدم تلقيه صدى واسعا كان لأن هذا الكتاب تم طمسه من طرف كتاب "المعارف" لابن قتيبة، الذي كان من نفس طبيعته، وإن كان الثاني موجها للمسلمين لا لغيرهم⁽⁸⁶⁾.

كما ألف القمص المصري "سرجيوس" كتابا بعنوان "هل تنبأت التوراة والإنجيل عن محمد؟" رد فيه على بعض ما قاله ابن ربن الطبري، وما جاء به غيره من علماء المسلمين. وبالعودة إلى كل ما كتبه ابن ربن الطبري وبعض المهتمين الذين مشوا على أساس ما جاء به في مسألة البشارات لاحظت أنهم يؤولون أغلب تلك النصوص تأويلا بعيدا جدا، ويكادون يكيّفونها قصرا ليجعلوها دالة على النبي صلى الله عليه وسلم وأمته، وخاصة مسألة استعمالهم حساب الجمل، وتفسيرات كلمة "الفارقليط" (the Paraclete)، وجذر كلمة "حمد"، وغيرها. وقد كتبت العديد من الردود حولها، خاصة في ما يتعلق بعدم مناسبتها لمعنى الكلمة، والصفات الملازمة لها في الترجمات اليونانية (paraklētōs) (παρακλήτος) والعبرية (פרקליט/פרקליטא)، والسريانية (ܩܪܩܠܝܬܐ paraqlytā).⁽⁸⁷⁾

⁽⁸⁵⁾Ibid.p21.

⁽⁸⁶⁾ Idem.

⁽⁸⁷⁾ للتفصيل في هذه المسألة والاطلاع على الأدلة المذكورة راجع:

القمص سرجيوس: هل تنبأت التوراة أو الإنجيل عن محمد؟، ص 11-16، 18، 17، وغيرها من الصفحات.

Sean W. Anthony. Muhammad, Menah em, and the Paraclete: new light on Ibn Ish āq's (d. 150/767) Arabic version of John 15: 23-16: 1, 273-277.



وهي -حسب رأينا الشخصي- تأويلات تحتمل النقد أيضا، ولم يكن ينبغي الاكتفاء بها؛ ففي الإسلام ما يغني عنها لإثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة أن تلك التأويلات يمكن أن يُعترض بها على من أتى بها بسؤال بسيط، كأن يقول قائل:

ظللتم على دياناتكم السابقة مدة طويلة (مثلا بلغ ابن ربن السبعين من عمره وهو ما يزال مسيحيا)، وطويلة تلك الفترة اطلعتم على كتبكم، بمختلف نسخها ونصوصها، بل تضلعتم في تفاسيرها وعلومها- حسب ما تروون- ، فكيف لم تنتبهوا لهذه البشارات، وبالأخص كيف لم تروا اسم محمد صلى الله عليه وسلم، طالما هو مذكور بلفظه بكل وضوح؟

والتوجيه الذي يتبناه من يعتمد على تلك النصوص التوراتية والإنجيلية في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم رغم اعترافهم بأنها محرفة، هو الاعتقاد السائد بأن خصوص تلك النصوص قد حفظت من التحريف، وهذا الأمر يستدعي النظر أيضا وبخاصة إلى الاستدلال عليه. لذلك نجد مسألة البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتب اليهود والمسيحيين، من أبرز ما ينتقد على العلماء المهتمين الذين اطلعوا على التراث الإسلامي في دراسة الأديان وقابلوه بالانتقاص.

Clint Hackenburg, *Voices of the Converted: Christian Apostate Literature in Medieval Islam*, 191-195 <https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/paraclete> (accessed on: 12:00 12/5/2023/ Kaufmann Kohler. PARACLETE (פרקליט or פרקליטא). <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11899-paraclete>(accessed on: 13:00 12/5/2023) James David Audlin, *The Paraclete in Arabic*. by Editores Volcán Barú, 2012-2020.



خاتمة:

يمكن أن نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث في النقاط الآتية:

- أغلب تراث المسلمين في مقارنة الأديان وكتابتهم في الجدل الديني تقوم على كتب المهتدين إلى الإسلام، وأولهم ابن ربن الطبري الذي أصبحت كتاباته أصلاً خاصة في مسألة البشارات المحمدية في الكتب المقدسة لليهود والمسيحيين.
- هناك اختلاف وتميز في كتابات ابن ربن الطبري وغيره من المتحولين دينياً عن غيرهم من الذين نشأوا مسلمين، سواء من حيث المواضيع أو المناهج أو المصادر.
- حياة المهتدين كابن ربن فيها العديد من المحطات التي تثير التساؤل، وقد تكون حجة ضد المسلمين من الطرف الآخر في الجدل الديني، كمسألة تقريهم من الحكام، وعوامل تأليف كتبهم ومحتوياتها، وظروف إسلامهم وغيرها.
- مؤلفات ابن ربن الطبري وغيره من المهتدين في مقارنة الأديان شبه مفقودة في كتب المترجمين والمتأخرين، وبالمقابل تذكر مؤلفاتهم في العلوم الأخرى، إلى جانب غياب شبه كلي لأصداء ما كتبه ابن ربن وغيره الكثير من المتحولين دينياً في فضاءات ديانتهم السابقة إلا بعض الردود القليلة.
- تلقى الدارسون المسلمون تراث المتحولين إلى الإسلام بعاطفة واحتراف مبالغ فيه، جعلتهم يغفلون العديد من مواطن النقد والتمحيص.
- كشف البحث عن وجود دراسات نقدية متينة غير إسلامية لتراث ابن ربن الطبري وغيره من المتحولين دينياً، إلا أنها أحياناً حادت عن متطلبات الموضوعية العلمية، وهو ما يعزى إلى إشكالية قبول تراث المرتد من منظور الشرعية.



قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

1. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، تح: محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت
2. ابن الساعي علي بن انجب، *الدر الثمين في أسماء المصنفين*، تح: أحمد شوقي بنين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي، تونس، د/ط، د/ت.
3. ابن النديم، *الفهرست*، تح: يوسف علي طويل، بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.
4. ابن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1972.
5. ابن ربن، *علي الطبري، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم*، تح: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1973.
6. ابن ربن، *علي الطبري، الرد على أصناف النصارى*، الحيزة: مكتبة النافذة، ط1، 2005.
7. ابن ربن، *علي الطبري، فردوس الحكمة*، تح: محمد زبير الصديقي، برلين، 1928.
8. ابن كثير، *إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية*، تح: عادل أحمد معوض وآخرون، بيروت: مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط1، 2008.
9. التفتزاني، *سعد الدين، شرح المقاصد*، تح: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 2010.
10. الخربوطلي، *علي حسني، الإسلام وأهل الذمة*، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1969.
11. شافية صديق، من أجل تشريح حقيقي لتراث الجدل الديني عند المسلمين، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية، مج4، العدد: 4، المنصة الجزائرية للمجلات العلمية ASJP، 2012-1433، تاريخ الاسترجاع: 2020/9/28.



12. الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تح: مجموعة من المحققين، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2000.
13. الصفي، أبو الفضل ابن العسال، الصحائح في جواب النصائح، القاهرة: مطبعة عين شمس، 1643.
14. الطبري، ابن جرير، تاريخ الطبري " تاريخ الرسل و الملوك"، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط2، 1967.
15. فتحية يوسف حسين الحاج أحمد، علي بن رين الطبري وجهوده في الرد على النصرانية، ماجستير، غزة: الجامعة الإسلامية، (2018-1440).
16. الفطحي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تح: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005.
17. القمص سرجيوس، هل تنبأت التوراة أو الإنجيل عن محمد؟، د.ط، د.ت.
18. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تح: عبد الحليم النجار، رمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعارف، ط5، 1977.
19. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الرابع، ط: 06، 2011.
20. المتطرب، نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تح: محمد عبد الله الشرقاوي. القاهرة: دار التأليف، 1986.
21. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية العصر العباسي الأول، 132هـ - 232هـ، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، موقع خالد عبد الله حسن آل زيد الشريف ، 11/08/1437 هـ - 18/05/2016 / استرجع في : 2020/9/15 .
22. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ليبيا: إدارة الثقافة.



23. محمد كرد علي، كنوز الأجداد، دمشق: أضواء السلف، 2010.

24. مسعود مسعودي، عرض النصرانية بين الخارجين منها والمعتنقين لها " ابن رين الطبري والصفى بن العسال

أنموذجا، ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، الجزائر، (2014/1435).

25. المسعودي، مروح الذهب ومعادن الجواهر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د/ط،

د/ت.

26. ياقوت الحموي، معجم الأدياء "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تح: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب

الإسلامي، ط1، 1993.

27. ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1993.

▪ مقالات وكتب بالانجليزية:

1. Ahmad Sanusi Azmi, Zuhilmi Mohamed Nor, Amiruddin Mohd Sobali, Mohd Yusuf Ismail & Amran Abdul Halim, "From Christianity to Islam: An Analysis of Ibn Rabban's Approach towards Sira Nabawiyya". *International Journal of Islamic Thought*. 11; 1(2017).
2. Camilla Adang, *A rare case of biblical 'testimonies' to the Prophet Muhammad in Mu'tazilī literature, Quotations from Ibn Rabban al-Ṭabarī's Kitāb al-Dīn wa-l-Dawla in Abu l-Husayn al-Baṣrī's Ghurar al-adilla, as preserved in a work by al-Himmaṣī al-Rāzī*, Istanbul: Orient institut. 2016
3. Camilla Adang, Sabine Schmidtke. *Muslim Perceptions and Receptions of the Bible: Texts and Studies*. Lockwood Press, Atlanta, Georgia. 2019.
4. Camilla Adang. *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible: From Ibn Rabban to Ibn Hazm*, New York, Koln: E.J.BTILL.LEIDEN, 1996
5. Clint Hackenburg, *Voices of the Converted: Christian Apostate Literature in Medieval Islam*, The Ohio State University, 2015.



6. Ibn Rabban, *The Book of Religion and Empire*, Manchester: Ed. by Mingana, 1922.
7. James David Audlin, *The Paraclete in Arabic*. by Editores Volcán Barú, 2012-2020.
8. Joshua.T. Olsson,. *Ḥudūd in al-Kindī and Ibn Rabban al-Ṭabarī*, 41 (2014).
9. Kaufmann Kohler, *PARACLETE* (פרקליט or פרקליטא).
- <https://www.jewishencyclopedia.com/articles/11899-paraclete>
10. Rifaat Ebied, David Thomas, *The Polemical Works of 'Alī al-Ṭabarī* BOSTON: BRILL.LEIDEN, 2016
11. Sean W. Anthony.Muḥammad, *Menah em, and the Paraclete: new light on Ibn Ish āq 's*, The Ohio State University, Bulletin of SOAS, Arabic version of John. 15; 1(2016) 23–16.